اسكندر ابكاريوس

من رواد مؤرخي الادب الجاهلي في العصر الحديث

بقلم : الدكتور رزوق فرج رزوق

هو اسكندر اغا بن يعقوب اغا بن ابكاريوس • اديب ومؤرخ وشاعر لبنانى ، من اهل القرن التاسع عشر • ولد فى بيروت ، ونشأ بها • وجال فى انحاء اوربة ، وعاد الى بيروت واشتغل بالتأليف • ثم ارتحل الى القاهرة ، وتقلد عدة مناصب فى عهدى الخديوى اسماعيل والخديوى توفيق منها رئاسة دائرة صديق باشا الذي كان وزيرا للمالية • وتوفي فى بيروت سنة ١٨٨٥ م •

وهو من عائلة ارمنية معروفة فى بيروت • كان والده اثير المكانة عند الولاة والحكام فى ديار الشام • وكان اول من قربه ورفع شأنه منهم ابراهيم باشا بن محمد علي باشا عندما فتح الديار الشامية[1] • ولاسكندر اخ اسمه يوحنا ، عني هو الآخر بالتأليف • كان ترجمانا فى القنصلية الانكليزية ببيروت ، واشتغل بالتجارة واثرى ، وتوفي فى سوق الغرب بلبنان سنة ١٨٨٩ • وله من المؤلفات :

التحفة الانيسة فى النوادر النفيسة ـ ط

قطف الزهور فى تاريخ الدهور (كتاب فى تاريخ العالم) ـ ط

---

(١) انظر الآداب العربية فى القرن التاسع عشر للويس شيخو ١ : ١١٥ـ١٦ ؛ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ٤ : ٢٤٩ ؛ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس ١ : ٢٤ـ٢٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) مادة « ابكاريوس » بقلم كارل بروكلمن ١ : ٩٥ ؛ الاعلام لخير الدين الزركلى ١ : ٢٩٧ ؛ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١ : ٢٥٣ •

نزهة الخواطر (مجموعة روايات ادبية وتاريخية) ـ ط

قاموس انكليزى عربى مطول ـ طبع ثلاث مرات

قاموس انكليزى عربى مختصر ـ طبع مرتين[٢] .

وليوحنا ابن اسمه نجيب له من المؤلفات :

فهرست تاريخ الحوادث فى السودان ـ فيه حوادث السودان (١٨٨١-١٨٨٩) وهو معرب عن الانكليزية[٣] .

اكب اسكندر ـ كما قال فى مقدمة كتابه تزيين نهاية الارب ـ على مطالعة تواريخ العرب واخبارهم ونوادرهم واشعارهم « ولا ريب فانهم امراء الكلام ، وارباب النثر والنظام ، وعنهم تروى الحكم والاداب ، والبلاغة التى يعجز عن مثلها ذوو الالباب » . والف كتبا عديدة فى الادب والتاريخ، ونظم شعراً جله فى المدح والتهنئة والرثاء . ويتبين مما تحدثنا به المراجع عن كتبه ، ومما طالعته منها ، انه كان قد اتخذ من الجاهلية ـ تاريخاً وادباً ـ اوسع ميادين نشاطه التأليفى ، فله فى هذا الميدان أربعة كتب هى « نهاية الارب » و« روضة الادب » و « منية النفس » و « تزيين نهاية الارب » ونجد له ، فيما هو باق من كتبه ، كتابين فى التاريخ الحديث احدهما فى تاريخ ابراهيم باشا وثانيهما فى التاريخ اللبناني ، ثم نجد له ديواناً شعرياً .

وفى كتب اسكندر ما هو مطبوع ، وفيها ما هو مخطوط ، اما المطبوع فيبلغ عدده ثمانية . وأما المخطوطات فكتاب « نوادر الزمان فى وقائع جبل لبنان » ـ وهو محفوظ فى دار الكتب بالقاهرة ـ واربعة كتب اخرى يبدو انها مفقودة .

---

(٢) الاداب العربية فى القرن التاسع عشر ١ : ١١٦-١٧ ؛ معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ : ٢٤-٢٥ ؛ تاريخ اداب اللغة العربية ٤ : ٢٤٩ .

(٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ : ٢٤٩ .

وفيما يأتى قائمة بأسماء هذه الكتب مرتبة وفقا لتسلسلها الزمنى ، وباسماء المراجع التى ذكرتها • وسأتلوها بعرض لثلاثة منها اتيح لي ان اطالعها •

١ ـ نهاية الارب فى اخبار العرب

مرسيليا ، مطبعة الفعلة ، ١٨٥٢ •

انظر الازهرية ٥ : ٥٩٤ ؛ الاعلام ١ : ٢٩٧ ؛ بروكلمن ٢ : ٤٩٥ ؛ زيدان ٤ : ٢٤٩ ؛ شيخو ٢ : ١١٥-١٦ ؛ الكتبخانة الخديوية ٥ : ٥٩٤ ؛ معجم المطبوعات ١ : ٢٤ ؛ معجم المؤلفين ١ : ٢٥٣ •

٢ ـ روضة الادب فى طبقات شعراء العرب

انظر الازهرية ٥ : ١٣٢ ، الاعلام ١ : ٢٩٧ ، اكتفاء القنوع ٤٩٥ ؛ ايضاح المكنون ١ : ٥٩٢ (سماه روضة الارب •••) ؛ بروكلمن ٢ : ٤٩٥ ، دار الكتب ٣ : ١٧٣ (سماه روض الادب •••) ، زيدان ٤ : ٢٤٩ ؛ شيخو ٢ : ١١٦ ، الكتبخانة الخديوية ٥ : ١٣٢ ؛ المتحف البريطانى ١ : ٧٥٦ ؛ معجم المطبوعات ١ : ٢٤ ؛ معجم المؤلفين ١ : ٢٥٣ ؛ هدية العارفين ١ : ٢٠٦ (سماه روضة الارب •••)

٣ ـ منية النفس فى اشعار عنتر عبس

بيروت ، ١٨٦٤ (الطبعة الاولى) • بيروت ، ١٨٨١ (الطبعة الثانية)

انظر الازهرية ٥ : ٢٧٧ قال: منية النفس فى اشعار عنترة عبس وهى مختارات من شعر عنترة بن شداد العبسى اختارها الاديب اسكندر اغا بن يعقوب اغا بن ابكار الارمنى المتوفى في بيروت سنة ١٣٠٣ (سنة ١٨٨٥ م) ورتبها على حروف الهجاء وقدم لها بترجمة عنترة • نسخة فى مجلد ، المطبعة العمومية فى بيروت ١٨٦٤ بآخرها تقاريظ فى ١٠٤ ص ، ١٩ سم • طبعة اخرى كالسابقة سنة (١٨٨١)؛

ايضاح المكنون ٢ : ٥٩٧ « دار الكتب ٣ : ٣٨٩ (قال لم يعلم جامعه اوله : الحمد الله الذى امره بين الكاف والنون • ذكر فى اوله ترجمة عنترة • وهو يشتمل على محاسن ما اختير من شعره • وقد رتب على حروف الهجاء • مخطوط بقلم معتاد بخط الشيخ محمد الشهير بالبربري • فرغ من كتابته سنة ١٢٨٣ برسم محمد فقي ابراهيم ويليه تقاريظ للشيخ ناصيف اليازجى والسيد عمر افندى الانسى والمعلم يوسف الشلفون) ؛ المتحف البريطانى ١ : ٢٨٢ ؛ هدية العارفين ١ : ٢٠٦ •

٤ ـ تزيين نهاية الارب فى أخبار العرب

بيروت ، ١٨٦٧

انظر الازهرية ٥ : ٤٠٠ ؛ اكتفاء القنوع ٤٢٩ ؛ ايضاح المكنون ١ : ٢٨٥ ؛ بروكلمن ٢ : ٤٩٥ (قال انه طبع سنة ١٨٠٧ • وليس هذا القول صحيحا • والخطأ ـ كما يبدو ـ طباعي) ؛ دائرة المعارف ١ : ٩٥ (قال انه طبع في بيروت سنة ١٩٥٨) ؛ المتحف البريطاني ١ : ٧٥٦ • (وقد اطلعت على هذا الكتاب فى مكتبة المتحف البريطاني فوجدته يتضمن تاريخي طبع ، الاول على غلاف الكتاب وهو سنة ١٨٦٥ ، والثاني على ورقة العنوان الداخلية وهو سنة ١٨٦٧ • ووجدت تاريخ طبع آخر هو سنة ١٢٨٤ هـ التي ذكرت فى تاريخ شعري ورد فى نهاية الكتاب مؤرخاً سنة صدوره • وهذه السنة تقابل سنة ١٨٦٧ الميلادية •

٥ ـ ريحانة الافكار فى أخبار الاسد الكرار والبطل القهار الملك شهريار

بيروت ، ١٨٨٠ (الجزء الاول فى ١١٩ صفحة)

انظر اكتفاء القنوع ٤٢٩ (قال : قصة شهريار طبع فى بيروت) ؛ المتحف البريطاني ١ : ٧٥٦ ؛ معجم المطبوعات ١ : ٢٤ (قال : قصة شهرايار ـ بيروت ؟)

٦ – نوادر الزمان فى وقائع جبل لبنان

مخطـوط

انظر بروكلمن ٢ : ٤٩٥ ؛ هدية العارفين ١ : ٢٠٦ ؛ ايضـاح المكنون ٢ : ٦٨٠ ؛ معجم المطبوعات ١ : ٢٤ (قال : وله من المؤلفات « نوادر الزمان فى وقائع جبل لبنان » بخطه فى الخزانة التيموريـة) ؛ دائـرة المعارف الاسلامية ١ : ٩٥ (قال : ويوجد لابكاريوس مخطوط فى تاريخ لبنان بدار الكتب المصرية) ؛ الاعلام ١ : ٢٩٧ (سماه : نوادر الزمان فى وقائع لبنان – خ) .

٧ – نزهة النفوس وزينة الطروس

القاهرة ، مطبعة جريدة الزمان ، ١٨٨٣ (الجزء الاول فقط)

انظر هدية العارفين ١ : ٢٠٦ ؛ ايضاح المكنون ٢ : ٦٤٣ قال (نزهة النفوس وزينة الطروس فى تاريخ مصـر) معجـم المطبوعات ١ : ٢٤ ؛ دار الكتب ٣ : ٤٠٩ (قال : وهو ديوان الاديب اسكندر بك ابكاريوس . اودع فيه من الاشعار اللطيفة كل خريدة لطيفة . وهو فى المدائح والتهاني والمراثي . وأكثر ما فيه فى مدح الحضرة الخديوية التوفيقية والاسماعيلية . وقد مدح فيه الاميرة خشيار كريمة المرحوم ابراهيم باشا وامراء آخرين) ؛ الاعلام ١ : ٢٩٧ .

٨ – المناقب الابراهيمية والمآثر الخديوية

القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ١٢٩٩ هـ .

انظر هدية العارفين ١ : ٢٠٦ ؛ ايضاح المكنون ٢ : ٥٥٩ ؛ معجم المطبوعات ١ : ٢٤ . (قال : وهو تاريخ ابراهيم باشا) – ألفـه بمعاونـة محمد مكاوي ، مط . الوهبية ١٢٩٩ ص ١٨٤) .

٩ – ١٢ – أربعـة مؤلفات خطيـة . قـال لويس شـيخو ان اسـكندر

ابكاريوس « ذكر لنفسه فى المناقب الابراهيمية والمآثر الخديوية الكتب الآتية غير المطبوعة : التحفة الغراء فى محاسن تونس الخضراء وكتاب ديوان الدواوين فى أجود أشعار المتقدمين والمتأخرين وكتاب كأس المدامة فى تركيب (لعبة) الدامة ثم ديوان شعر بين نظم ونثر » .

ونُسِب الى اسكندر ابكاريوس ، سهواً ، مؤلفان هما :

١ ـ قاموس انكليزي عربي ، بيروت ١٨٩٢ (الطبعة الثالثة) . انظر دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ١٨٢ (قال : وقد طبع قاموسه الانكليزي العربي للمرة الثالثة فى بيروت عام ١٨٩٢) وانظر بروكلمن ٢ : ٤٩٥ (قال : قاموس انكليزي عربي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٨٩٢) . انفرد بروكلمن بنسبة هذا القاموس الى اسكندر ابكاريوس . ولقد عرفنا ان لاخيه يوحنا قاموساً انكليزياً عربياً طبع ببيروت ثلاث مرات . ويبدو أن بروكلمن سها فنسب قاموس يوحنا الى أخيه اسكندر .

٢ ـ خرابات سوريا . وهو خطاب أثري عن عاديات سوريا وآثارها القديمة ، بيروت ، ١٨٦١ . انظر معجم المطبوعات ١ : ٨٤٦ (ذكر سركيس هذا الخطاب ضمن مؤلفات خليل الخوري (ـ ١٩٧٠) وأضاف ان مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، نسبته الى اسكندر ابكاريوس .

نهاية الارب فى اخبار العرب

أول مؤلفات اسكندر ابكاريوس ، وهو كتاب فى تاريخ العرب الجاهليين وأدبهم ، يقع فى ١٨٨ صفحة متوسطة ، الفه سنة ١٨٥١ وطبعه سنة ١٨٥٢ بمطبعة الفعلة بمرسيلية فى فرنسا طبعة جيدة أنيقة ، شكل فيها من الالفاظ ما يشكل .

---

(٥) انظر كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ص ٣ .

قال فى مقدمته ، مشيرا الى ما دعاه الى تأليفه من رغبة الناس فى الشام فى الاطلاع على أخبار العرب فى الجاهلية : « بسم الله الرحمن الرحيم » الحمد لله الذي جعل الاولين عبرة للآخرين • وبعد فيقول العبد الى مولاه الغني ، اسكندر بن يعقوب بن ابكار الارمني ، انني لما رأيت اقبال الناس فى ديارنا الشامية ، الى معرفة اخبار العرب الجاهلية شمرت ساعد العزم والجهاد ، الى التقاطها من كل شعب وواد ، فجاءت بحمد الله زبدة صافية ، كافية فى بابها وافية ، وقد جمعتها فى هذا الكتاب المسمى (نهاية الارب فى أخبار العرب) وأنا أرجو ممن وقف عليه من أهل النظر ، ان يتجاوز عما زلت به القدم أو زاغ عنه البصر ، فأقول وبالله التوفيق ان العرب ينقسمون الى ثلاثة أقسام بائدة وعاربة ومستعربة • »

واودع مادة الكتاب فى عشرة فصول ، هذه عناوينها : ملوك عرب الجنوب ، ملوك عرب العراق ، ملوك عرب الشام ، ملوك كندة ، ذكر ملوك متفرقة من العرب ، باب وقائع العرب المشهورة ، حرب خزاز ، حرب البسوس بين بني بكر وتغلب • حرب سباق الخيل • حرب ذي قار بين العرب والعجم • ذكر طرف من أخبار فصحاء العرب المشاهير •

وقد جعل الفصول التسعة الاولى ، وهي تشغل ثلاثة أرباع الكتاب ، لتاريخ العرب الجاهليين ناظرا الى هذا التاريخ من خلال ملوكهم ووقائعهم(٦) • وجعل الفصل العاشر ، وهو الاخير ، للادب ، فضمنه معلقات امرىء القيس وزهير والاعشى ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وعنترة العبسي وشيئا من أخبار حاتم الطائي وأشعاره(٧) •

وختمه بقوله « تمت أخبار الشعراء ، وبتمامها تم هذا الكتاب الذي

---

(٦) ص ٦ـ١٤٠
(٧) ص ١٤١ـ١٨٨

جعمنا فيه ما لاق وراق من أخبار العرب المتقدمين التي نقلناها من أسفار شتى عن ثقات المؤرخين • فجاء بحمد الله كتاباً كاملا يغني عن كثير من مطولات الاسفار ، ولا يمل الناظر فيه من اسهاب الروايات وتطويل الاخبار ، وانا التمس ممن طابت سريرته ، وحسنت سيرته ، أن يتجاوز بفضله عما طغى به القلم ، وزلت القدم ، فان الكمال لله وحده ، ولا عصمة الا عنده ، وهو حسبنا ونعم الوكيل »[٨] •

روضة الادب فى طبقات شعراء العرب

صدر هذا الكتاب فى بيروت سنة ١٨٥٨ فى ٢٨٨ صفحة •

يذكر المؤلف فى أول كتابه هذا ما دعاه الى تأليفه ، ويشير الى منهج التأليف ، فيقول : « حمداً لمن انطق ألسن الشعراء بغرائب الاشعار ، وجعلها تذكرة لهم فيما يستجد من باقي الاعصار • وبعد فيقول اسكندر بن يعقوب صاحب هذا التأليف أنه لا يخفى ان الشعر ميدان تتسابق فيه الشعراء الجياد ، وهو من أوضاع الجاهلية الذين كانوا يهيمون به فى كل شعب وواد ، لانهم يأتون بالرقائق والنفائس ، وينزهون عباراتهم عن الخبائث والخسائس • فرأيت أن أجمع من لطائف أخبارهم ، ونوادر أشعارهم ما اخترته فى هذا الكتاب ، وجعلته تذكرة لنفسي وهدية للاحباب ، وسميته « روضة الادب فى طبقات شعراء العرب » وقد جعلت طبقاتهم على ثلاث مراتب ، قصداً لافادة الطالب ، ورتبت تراجمهم على حروف المعجم ، ليهتدي اليها الفصيح والاعجم ، وأنا التمس ممن يقف عليه أن يتغاضى عما زلت به القدم ، ويصلح ما طغى به القلم • والحمد لله اولا وآخراً ، وباطناً وظاهراً »[٨] •

---

(٨) ص ١٨٨

(٩) ص ٢ـ٣

ويورد بعد هذه المقدمة فصلا فى الشعر وفوائده ، يذكر فيه ، فيما يذكر من فنون الشعر وأغراضه ، التاريخ الشعري ، ويمثل له بقوله « كقول الشيخ ناصيف اليازجي فى وفاة المرحوم والدي :

مضى الى الله من طابت سريرته
بالله وهو بعفو الله مصحوب
فقل لمن جاء بالتاريخ يطلبه
قد صار في حضن ابراهيم يعقوب»(١٠)

ثم تتعاقب تراجم موجزة لشعراء الجاهلية مرتبة وفقا للتسلسل الهجائى لاسمائهم ، ومصحوبة بنماذج يسيرة من اشعارهم .

وهو يبدأ بترجمة أحيحة بن الجلاح ، وينتهي بترجمة يزيد بن ورقاء . وترد في آخر الكتاب تقاريظ شعرية يثني بها اصحابها على الكتاب ومؤلفه . واصحاب هذه التقاريظ هم : ناجي زاده عبدالقادر باشا مامور ايالة صيدا الكبير ، والشيخ ناصيف الياجى الذى قال :

رسالة ليس قاريها بذى ملل وتحفة ليس شاريها بمغبون
تضمنت من بديع الشعر أحسنه نظماً فكانت كديوان الدواوين

وولده الشيخ حبيب اليازجي ، ومحمد رفعت بك ، وعمر افندى الانسي الذى قال :

ياحسن بهجة روضة الادب التى هى نزهة الابصار والاذهان

وابو حسن افندي الكستي ، والشيخ ابراهيم السالمي شيخ العرب السواله الذي قال :

فى نزهة الروضة الغراء قد جمعت عشائر افترقت فى سالف الحقب

---

(١٠) ص ٧ . وسنة الوفاة ١٨٤٥ .

انت الاديب وهذا الروض منك زهت ازهاره فتسمى روضة الادب[1]

تزيين نهاية الارب فى اخبار العرب

طبع هذا الكتاب فى بيروت سنة ١٨٦٧ بعد خمسة عشر عاما من صدور « نهاية الأرب فى اخبار العرب » •

ويبدو انه انجز تأليفه قبل طبعه بخمسة اعوام ، فقد ذكر فى مقدمته ان المدة بين طبع الكتابين نحو عشرة اعوام •

وهذا الكتاب ، كما يشير عنوانه ، نسخة ثانية من نهاية الارب ، ولكنها نسخة مزيدة منقحة ، بلغ عدد صفحاتها ٤٠٨ ، فزادت على ضعف عدد صفحات الكتاب الاول •

وقد شجع المؤلف على اصدار كتابه « تزيين نهاية الارب فى اخبار العرب » ما ظفر به كتابه « نهاية الارب » من شيوع بين الناس • واعتز بالكتاب الجديد فاهداه الى السلطان العثماني عبدالعزيز خان •

قال فى مقدمته :

« •• اما بعد فيقول العبد الفقير الى رحمة مولاه اللطيف القدير ، اسكندر بن يعقوب المعترف بالذنب والتقصير : اننى اذ كنت مغرماً بمطالعة تواريخ العرب واخبارهم ، ونوادرهم واشعارهم ، ولاريب فانهم امراء الكلام ، وارباب وارباب النثر والنظام ، وعنهم تروى الحكم والاداب ، والبلاغة التى يعجز عن مثلها ذوو الالباب • وقد كنت الفت كتابا جمعت فيه من اخبارهم ما سمح به الخاطر ، واوردت ما قدرت على جمعه من الاشعار والنوادر ، وسميته « نهاية الارب فى اخبار العرب » واشهرته مطبوعا من نحو عشرة اعوام ، وشاع بين الخاص والعام ، غير انه لم يكن

---

(١١) ص ٢٨٥-٢٨٨

مستوفيا حق المطلوب ، ولا جاء على تمام المرغوب ، نظرا لما فيه من الايجاز والتخفيف ، والاختصار فى التأليف ، فشرعت فى تهذيبه هذه المرة وزدت فيه ما امكنني التقاطه من بدائع الاشعار ، كالقصائد المسبعات وغيرها من الوقائع والاخبار ، حتى زها رونقه وزاد فى التحسين ، وصار كتاباً مفيداً مزيناً بنفائس الدر الثمين ، كما يظهر ذلك لكل متأمل فيه من فصيح اديب ، وعاقل لبيب • وبعد ان تم جمعه وطاب سمعه سميته «تزيين نهاية الارب فى اخبار العرب » وقدمته الى اعتاب •• السلطان عبدالعزيز خان •• وكان تقديمه بواسطة •• والى ولاية سورية المحترم افندينا راشد باشا •• وانا ارجو ممن وقف عليه من اهل النظر ان يتجاوز عما زلت به القدم او زاغ عنه البصر ، فاقول ، وبالله التوفيق : ان العرب ينقسمون الى ثلاثة اقسام بائدة وعاربة ومستعربة ••» (١٢) •

ثم يستمر الكتاب فى مزيج من التاريخ والادب والشعر ، شبيه بما فى كتابه الاول « نهاية الارب » • ويختمه مؤلفه بقوله « هذا آخر ما اثبته من اخبار العرب المتقدمين التى نقلتها عن اسفار شتى عن ثقات المؤرخين فجاء بحمدالله كتابا شاملا يغني عن كثير من مطولات الاسفار ولا يمل الناظر فيه من اسهاب الروايات وتطويل الاخبار »(١٣) •

وترد فى اخره مجموعة من التقاريظ الشعرية لطائفة من ادباء الشام منهم عمر افندى الانسي والحاج حسين بيهم ويوسف الشلفون والمعلم ابراهيم سركيس والمعلم ظاهر خيرالله الشويرى وسعيد الحموى وسليم ذياب الطرابلسي(١٤) •

---

(١٢) انظر مقدمة الكتاب وهى فى خمس صفحات غير مرقمة •
(١٣) ص ٤٠٣
(١٤) ص ٤٠٣ـ٤٠٧

منزلته فى التأليف الادبي :

كان اسكندر ابكاريوس من ادباء القرن التاسع عشر البارزين ، ومن مؤرخيه ، وشعرائه . ولكنه يكاد يكون مجهولا اليوم ؛ اذ لم يذكره الا القليل من المؤرخين والباحثين ، ولم يذكروا عنه الا القليل من الاخبار .

وممن ذكره مترجما له او مشيراً اليه او معرفا بمؤلفاته ـ جرجي زيدان واسماعيل بن محمد امين البغدادى ولويس شيخو ويوسف اليان سركيس وكارل بروكلمن وخيرالدين الزركلى وعمر رضا كحالة والدكتور صالح أحمد العلى .

واذا كان ما ألفه ابكاريوس فى ميدان التاريخ ، او ما نظمه فى روضة الشعر ذا مستوى اعتيادى لايحلّه منزلة المؤرخين والشعراء الكبار ، وينهض عذرا لقلة اهتمام الدارسين بأمره فان ما الفه ونشره فى حقل الادب الجاهلى يعدّ عملا رياديا جديرا بالعناية .

ولعل اول من اشار الى هذا الدور الريادى الدكتور صالح احمد العلى فقد قال فى حديثه عن الادب الجاهلى بوصفه جزءا من دراسة تاريخ الادب العربي :

« لقد بدأ الاهتمام بدراسة الادب الجاهلى كجزء من الادب العام ، ومن اوائل من الف ونشر كتباً هو اسكندر ابكاريوس الذى نشر ثلاثة كتب هى « نهاية الارب فى اخبار العرب » (مارسيليا ١٨٥٢) و « روضة الادب فى طبقات شعراء العرب » (بيروت ١٨٥٨ ص ٢٨٨) و « تزيين نهاية الارب فى اخبار العرب » (بيروت ١٨٦٧ ص ٤٠٨)[١٥] .

وتاريخ الادب ـ كما يقول محمد هاشم عطيّة ـ قديم عند العرب . تنبه اليه العلماء من السلف حين هموا بالنظر فى علوم الامم الاخرى ونقل اثار اللغات المختلفة الى هذه اللغة العربية ، فنظروا ايضا فيما ورثوه عن

---

(١٥) « العصر الجاهلى » ، الادب العربى فى اثار الدارسين ص١٨ .

اسلافهم من ذلك الادب ، فتناولوه بالتدوين ، وعالجوه بالتحليل والنقد ، وأرخوا رجاله ، ورتبوا طبقاته . ودرجت على هذا القدر من النظر امهات الكتب الادبية مثل « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحي (-٢٣١ هـ) و « البيان والتبيين » للجاحظ (-٢٥٥هـ) و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (-٢٧٦هـ) و «الكامل» للمبرّد (-٢٨٥هـ) و « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني (-٣٦٥هـ) و «الامالى» لابي علي القالى (-٣٦٥هـ) ، ثم كتب الموازنة والنقد من بعدها ، على مثال من البحث لايزال يحتذى الى عصرنا هذا . غير ان مباحث هذا العلم كانت فى اكثر هذه الكتب منثورة غير متعمقة ، وكانت مجردة فى كثير من الاحيان من الدراسة الفنية التى استحدثها علماء الغرب لدراسة ادبهم فى القرن الثامن عشر ، وطبقها بعض مستشرقيهم على دراسة تاريخ الادب العربى ، ونهجوا بها سبيل هذا البحث الجديد حتى استقل تاريخ الادب عن سائر العلوم ، وظهر فى نسق حسن من الترتيب والتفصيل ، وسار المعاصرون فى مصر ثم فى غيرها على هذا المنهج ، ووضعوا فى ذلك العلم كتباً متعددة يقصد اكثرها الى غرض التعليم[١٦] .

ولقد نقل المستشرقون كتابة تاريخ الادب العربي الى مرحلة جديدة حين طبقوا فى دراسة ادبنا وكتابة تاريخه منهجاً يمنح تاريخ الادب استقلالا ، ويرسم لدراسته خطة ، ويظهر له صورة واضحة متصلة الاجزاء ، وينظر الى الادب من خلال معناه العام ، فيؤرخ لحياة الامة الشعورية والعقلية ، ويبحث فى نشأتها وتطورها ، ويترجم لا للشعراء والكتاب وحدهم بل للفلاسفة والمؤرخين والعلماء ايضا .

وكان المستشرق النمساوى يوسف حامر برجشتال (١٧٧٤ - ١٨٥٦) اول من حاول تقديم تاريخ الادب العربي ، بمعناه العام ، فى عرض كامل ،

---

(١٦) الادب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى ص ٢٨ .

بكتابه «تاريخ الاداب العربية» الذى صنفه بالالمانية ، وأصدره في فيينا بين سنتي ١٨٥٠ و ١٨٥٦ ، فى سبعة مجلدات . ولكن اهم مصادر تاريخ الادب العربى لم تكن قد عرفت فى زمانه ، كما انه لم يكن على علم كاف بالعربية ، لذا لم يعد من الممكن اليوم الاعتماد على كتابه الا بحذر كبير . واعقب برجشتل اربتنوت وفون كريمر فأصدر كل منهما كتابا فى هذا الحقل(١٧) .

وتلاهم المستشرق الالمانى كارل بروكلمن (١٨٦٨-١٩٥٦) فاصدر بالالمانية كتاب « تاريخ الادب العربى » بين سنتي ١٨٩٨ و١٩٠٢ فى جزأين وثلاثة ذيول . وقد عرض فيه الادب العربى فى مفهوم واسع جديد تضمن البحث فى احوال المجتمع وسير الادباء وتحليل نتاجهم ، ووضعه فى أطر اجتماعية وسياسية وفنية ، وربطه بتيارات فكرية عامة . وعني عناية فائقة بذكر المؤلفات العربية ، وبيان ما هو مخطوط او مطبوع منها ، والاشارة الى المكتبات التى تحتفظ بالمخطوطات وارقام هذه المخطوطات فى سجلات المكتبات .

ومن اوائل الكتب التى الفها العرب فيما بعد وافاد مؤلفوها ، بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، من المناهج الغربية ، فى تأليف كتب التاريخ الادبي :

تاريخ العرب وآدابهم لقسطنطين فيلبيدس وادوارد فنديك ، القاهرة ١٨٩٢ .

تاريخ اداب اللغة العربية لمحمد دياب ، القاهرة ١٩٠٠ .

ادبيات اللغة العربية لعاطف بركات وآخرين ، القاهرة ١٩٠٦ .

ادب الاسلام لصالح حمدى حماد ، القاهرة ١٩٠٧ .

ادب اللغة العربية لمحمد حسن نائل المرصفى ، القاهرة ١٩٠٨ .

تاريخ الادب او حياة اللغة لحفني ناصف ، القاهرة ١٩١٠ .

---

(١٧) بروكلمن ، تاريخ الادب العربى (الترجمة العربية) ١ : ٣٢ .

تاريخ ادب اللغة العربية لعبدالله دراز ، القاهرة ١٩١٠ .

تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ، القاهرة ١٩١١ .

الشذرات السنية فى تاريخ آداب اللغة العربية لمحمد علي المنياوى ، القاهرة ١٩١١ .

تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعى ، القاهرة ١٩١٢ ـ ١٤ .

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للويس شيخو ، بيروت ١٩١٢ ـ ١٩ .

المنتخب من تاريخ آداب العرب لمحمد عطية الدمشقى ، القاهرة ١٩١٣ .

تاريخ آداب العربية منذ نشأتها الى ايامنا لفكتور ساروفيم ، الاسكندرية ١٩١٤ .(١٨)

واذا نحن لاحظنا ان معظم هذه الكتب قد صدرت فى اول القرن العشرين ، وان بينها وبين مؤلفات اسكندر ابكاريوس فى تاريخ العرب الجاهليين وادبهم قرابة نصف قرن من الزمن تبين لنا مدى السبق الذى وفق اليه هذا المؤلف فى مجال تأليف الكتب فى تاريخ الادب الجاهلى ونشرها .

ولا ازعم ان مؤلفاته «نهاية الارب » و « روضة الادب » و « وتزيين الادب » قد استكملت كل شروط تأليف كتب التاريخ الادبي التى نعرفها اليوم ، فالرجل رائد وهو يسبق زملاءه من مؤرخي الادب العربي بمدة طويلة من الزمن ، ويسير فى طريق جديدة لم تعبدها اقدام العابرين .

وليس من العسير على الباحث المعاصر ان يجد فى هذه الكتب ما ينتقده وما لايرضيه من مضامينها ومناهج تأليفها ؛ فخطة البحث فيها موجزة ، وعناصر الخطة قليلة ، وتوزيع المادة على هذه العناصر يفتقر الى التوازن والتناسب . وفى هذه الكتب من التاريخ ما يربو على ما فيها من الادب وفيها نظر الى الادب بمعناه الخاص المحدود ، وفيما اعتماد على منهج من السرد

---

(١٨) انظر المرجع نفسه ٣٣ـ٣٥ .

والتمثيل لا يستند الى نصيب كاف من النقد والتحليل ، وفيها تأكيد على هدف الامتاع فالمؤلف يجمع فى صفحات كتبه هذه « ما لاق وراق من اخبار العرب المتقدمين » ويختار للقارىء المستمتع « لطائف اخبارهم ونوادر اشعارهم » ، وفى لغتها سجع متكلف لا تدعو اليه طبيعتها .

ولكن لهذه الكتب جوانبها الايجابية ايضا ؛ فقد فطن مؤلفها الى العلاقة الوثيقة بين الادب الجاهلى والشعب الذى انتجه ، فتحدث عن احوال هـذا الشعب وروى اخبار ملوكه وسرد انباء وقائعه ، وهو ايضا قد طبق قواعد نقديه وتأليفية حسنة حين قسم الشعراء الى طبقات ، وحين لم يستكثر منها بل اقتصر على ثلاث طبقات ، وحين اورد تراجم الشعراء مرتبة وفقا للتسلسل الهجائي لاسمائهم ، وحين اقتبس مواد كتبه « من اسفار شتى عن ثقـات المؤرخين » .

ولهذه الكتب ، بعد كل هذا ، تقدمها الزمني . والفضل للمتقـدم .

مراجـع البحث

ابكاريوس ، اسكندر بن يعقوب (ـ ١٨٨٥)

١ ـ نهاية الارب فى اخبار العرب ، مرسيلية ، مطبعـة الفعـلة ، ١٨٥٢ .

٢ ـ روضة الادب فى طبقات شعراء العرب ، بيروت ، ١٨٥٨ .

٣ ـ تزيين نهاية الارب فى اخبار العرب ، بيروت ، ١٨٦٧ .

بروكلمن ، كارل (ـ ١٩٥٦)

١ ـ تاريخ الادب العربى (بالالمانية)

٢ ـ « ابكاريوس » ، دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) القاهرة ، ١٩٣٣ .

البغدادى ، اسماعيل بن محمد امين (ـ ١٩٢٠)

١ ـ ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ، استانبـــول ، ١٩٤٥ .

٢ ـ هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، استانبول ، ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

الزركلي ، خيرالدين بن محمود .

الاعلام ـ قاموس تراجم ، الطبعة الثالثة بالافسيت ، بيروت ، ١٩٦٦ .

زيدان ، جرجي (ـ ١٩١٤)

تاريخ اداب اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

سركيس ، يوسف اليان (ـ ١٩٣٢)

معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

شيخو ، لويس (ـ ١٩٢٨)

١ ـ الآداب العربية فى القرن التاسع عشر ، بيروت ، ١٩٠٨ـ١٩١٠ .

٢ ـ كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، بيروت ، ١٩٢٤ .

عطية ، محمد هاشم (ـ١٩٤٣)

الادب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

العلـــي ، صالح .

« العصر الجاهلى » ، الادب العربى فى آثار الدارسين ، بيروت ، ١٩٦١ .

فنديك ، ادوارد (ـ١٨٩٥)

اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من اجل التآليف العربية فى المطابـــع الشرقية والغربية ، القاهرة ، ١٨٩٦ .

فهـرس الكتب العربيـة بمكتبة المتحف البريطانـى (بالانكليزيـــة) ، لندن ، ١٩٢٧ .

فهرست الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية شهر مايو ١٩٢٦ ، الجزء الثالث ، ١٩٢٧ .

فهرس الكتبخانة الخديوية .

فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الازهرية الى سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م ، القاهرة ، ١٩٤٩ (الجزء الخامس)

كحالة ، عمر رضا .

معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفى الكتب العربية ، دمشق ، ١٩٥٧ .